مثقفو الحلة يدقون اجراس الخطر

ما حدث من انتهاكات في آثار بابل يهدد بشطب جزء من ذاكرة العراق

مكتب (المدى) بابل/ شريف الزميلي

تتعرض مدينة بابل الى عمليات حفر ونبش للمواقع الاثرية في واحدة من اخطر حلقات سيناريو التجاوز على الذاكرة العراقية بدءاً من عمليات النهب التي تعرض لها المتحف العراقي مروراً بإحراق ابرز الوثائق التاريخية وتدمير المكتبة الوطنية فضلاً عن العبث بالمكتبات المهمة في كل مكان من عراقنا الملاحق بالنكبات.

ولا يخفى ما تمثله تلك الاعمال من تدمير لحضارة وادي الرافدين.

وللتعرف على ابعاد تلك العمليات المشبوهة كان لنا اكثر من لقاء مع المختصين في محافظة بابل وذوي الاهتمامات الانسانية في هذا الميدان.

القضية .. وطنية وانسانية

السيد ربيع جعفر هاشم - منقب آثار - ادارة متحف بابل قال: انتمي لهذا الحقل الجميل منقباً للآثار وعملت في معظم المواقع الاثرية بدءاً من الـ (pre history)حتى المواقع للفترات الاسلامية فضلاً عن السومرية والاكدية والبابلية فقد عانينا ما عانيناه نحن الآثاريين من تجاوز من الاخوة الفلاحين على المواقع الاثرية بسبب انانيتهم وذلك للحصول على متر اضافي الى ارضه دون ان يدري انه قد شطب بذلك حقبة من التاريخ.

كذلك المعاناة التي عانيناها من نظام صدام المقبور وزبانيته وازلامه الجهلة، فإلى جانب انهم سرقوا العراق وثروته المادية فقد قاموا بسرقة متحف بابل، سرقة مدينة بكاملها، اعظم واشهر مدينة من الناحية العمرانية والعلمية، مدينة بابل الاثرية عندما امر صدام جلازوته بإعادة بنائها بالطابوق الجمهوري واخفى معالمها الاثرية كافة، بل سرق اسمها فقد امر بتبديل اسمها من بابل الاثرية الى بابل التاريخية.

كنت اعمل مرشداً/ دليلاً سياحياً محلياً في مدينة بابل ورأيت كيف كانت الوفود الرسمية تأتي الى العراق على ضيافة ديوان الرئاسة - وكل وفد يصطحبه عنصران من عناصر المخابرات هذه الوفود غالبيتها من الشخصيات الاسرائيلية واليهودية يصاحبهم حاخاماتهم يؤدون شعائرهم وطقوسهم وهم يضعون ايديهم على الجدران ويكررون انحناءاتهم امامها -ori gin على مرأى ومسمع ازلام النظام لقاء دولارات معدودة.

ما يسرق اليوم جزء قليل من سرقات امتدت لثلاثين عاماً ولو اطلعتم على مسلسل السرقات منذ السبعينيات حتى اسقاط النظام لوليتم منهم فراراً.

★ د. صباح نوري المرزوك/ استاذ مساعد في جامعة بابل يحمّل الصهيونية والداعين اليها مسؤولية نهب آثار بابل وافراغ المتاحف من محتوياتها ويدعو الى تنظيم حملة اعلامية مركزة لمتابعة ما سرق ويؤكد ضرورة اعادته بالتعاون مع الدول والمؤسسات والافراد المعنيين، وان تهيأ لهذه الحملة اسبابها كي تكون النتائج التي نتمنى ان نصل اليها صحيحة حرصاً على هذه القيم التي نعتز بها.

خسارة وطنية فادحة

أ.د علي ناصر غالب الشمري رئيس قسم اللغة العربية في كلية التربية أشار إلى ما تعرضت له مدينة بابل الأثرية في ظل النظام الدكتاتوري من عملية تحوير كبيرة لتصبح مدينة سياحية تقام عليها الاحتفالات والمهرجانات وبذلك فقدت المدينة جزءاً مهماً من خصائصها الآثارية، فأخرجتها منظمة اليونسكو من رعايتها لما أصاب المدينة من تحريف لمواقعها، وعلى الرغم من أهمية هذه المدينة فإن نسبة كبيرة من آثارها تعرضت إلى السرقة ونقلت خارج المدينة سواء إلى المتحف العراقي الذي تعرض هو الآخر إلى السرقة والتخريب أو إلى نقله إلى بلدان العالم التي وفدت منها بعثات عديدة في العهود السابقة للتنقيب.

أما ما يجري الآن في موقع مدينة بابل الآثارية فهو مرحلة أخرى من مراحل طمس الآثار الثمينة وتهريبها خارج القطر وهو أمر لا يبيحه أي قانون أو أي قرار من قرارات مجلس الأمن الدولي ويشكل خسارة وطنية فادحة ينبغي التصدي لها.

لذا ينبغي تسليم مدينة بابل الأثرية إلى الجهات العراقية وأن تخرج القوات الأمريكية منها بعد إزالة آثار الاحتلال من المدينة.

إن تسلم مدينة بابل من الأمريكان يستدعي ما يأتي:

١.أن تشكل وزارة الثقافة فريقاً وطنياً من المختصين بالآثار القديمة فقط ممن يشهد لهم بإنجازاتهم العلمية للقيام بمسح المدينة من جديد وإعادتها إلى ما كانت عليه قبل تحويلها إلى مدينة للمهرجانات والأغاني والرقص والعمل على غسل الآثار السيئة التي تركتها قوات الاحتلال.

٢.تعمل وزارة الثقافة على تعيين مختصين في الآثار القديمة لا الإسلامية للوقوف على شؤون المدينة والمحافظة عليها واستقدام البعثات الآثارية من مختلف أرجاء العالم لإعادة معالمها إلى ما كانت عليه قبل تدخل النظام السابق، ويمكن أن تتحول المدينة إلى متحف طبيعي للآثار يعاد إليه ما سرق منها وما نقل إلى أرجاء أخرى من العراق والعالم.

٣.تقوم وزارة الثقافة ببناء متحف للآثار جوار المدينة وذلك لحفظ الأثريات التي يعثر عليها وعرضها واسترجاع ما سرق لتعود إلى المدينة قيمتها الآثارية التي فقدت أبان العهد السابق وفي ظل الاحتلال.

٤.مفاتحة منظمة اليونسكو للاستفادة من خبرة المختصين بالآثار في مختلف أنحاء العالم وإعادة المدينة إلى رعاية المنظمة من جديد.

٥.تخطط الوزارة للاستفادة من موقع المدينة الأثري كمرفأ سياحي تبنى قربه الفنادق والمتنزهات ليؤمها السياح من مختلف بقاع العالم وتكون مورداً اقتصادياً يخدم المدينة أولاً.

٦.تشرع وزارة الثقافة ببناء مكتبة فخمة تضم فيها كل ما كتب عن آثار بابل وتكون هذه المكتبة بإدارة مختصين ويشرف عليها مختص بالآثار القديمة، ويمكن جلب آلاف الكتب من مختلف بقاع العالم مما له صلة بالآثار لاسيما آثار وادي الرافدين.

★ المترجمة بتول جعفر هاشم تدين تلك العمليات وتدعو الى ارجاع مفرات الذاكرة العراقية لما لها من اهمية لدى كل مثقف عراقي غيور يرفض سرقة وتهريب الآثار الى خارج القطر، وتدعو جميع المنظمات والدوائر ذات العلاقة الى رفع الصوت عالياً للمطالبة بالتحقيق في جميع ما يخص هذا الموضوع فضلاً عن تنظيم لجان تدعو الى اعادة آثارنا وملاحقة العابثين بها من اجل الصالح العام والعمل على تجميع الرأي العراقي والعالمي للحفاظ على تاريخنا الذي اضاء الدنيا.

★ د. ماجد محيي الفتلاوي استاذ علم الاجتماع/ جامعة بابل يرى ان ما تتعرض له مدينة بابل في الوقت الحاضر يشكل اخطر حلقة من حلقات تدمير الحضارة العراقية وطمس معالمها، وان ذلك بمجمله يشكل جريمة كبرى بحق حضارتنا وتراثنا كونه تراثاً غنياً يعتز به كل مواطن، وسيبقى موضع اعتزاز واحترام الاجيال اللاحقة. ويدعو الى متابعة سرقة الاثار بشكل جاد بالتعاون مع كل الاطراف والمؤسسات ذات العلاقة حفاظاً على إرث العراقيين.

ما يسرق ويدمر اليوم جزء من سرقات امتدت ثلاثين عاماً

منبع نفط.. منبع حضارة

د. منقذ ماشاء الله/ نائب رئيس تحرير مجلة (صحتك) يرى ان نبّاش مطمورات الآخرين سيء وشرير..يشبه جداً (سارق الاكفان) في سوئه وشره ويرى كذلك انها ليست مسألة اولئك الذين استهدفت ذاكرتنا الحضارية مرة اخرى. واعتقد ان الاضرار التي لحقت بالمواقع جاءت من البحث والتنقيب العشوائي وليس من اتخاذ المكان مقراً عسكرياً، وانا اجد في هذه العملية نشاطاً يهودياً مدروساً، انهم يبحثون عن ذاكرة منقودة قرب اطلال بابل لم تكن سوى سطو على اصول ذاكرتنا الحضارية التي اعتمدوها في انتاج مآثرهم الثقافية المعروفة بالتوراة.وانا لا اتفق مع صديقي مفيد الجزائري وزير الثقافة في مطالبته ببقاء قوات الاحتلال حماية للمواقع من السرقة، لأن الشرطة العراقية قادرة على تأمين الحماية وتوفير الامن، هل تبدو حماية المواقع صعبة على الشرطة العراقية والامن والدفاع المدني؟ هذه التشكيلات التي استطاعت حماية محافظة كبيرة كبابل من التخريب!؟

★د. جبار حنون / أستاذ مساعد في كلية التربية الفنية يشخص أن ما حصل للآثار العراقية وما يحصل الآن من سرقة وتدمير وتجاوز على حرمة العراق الحضارية ومكانته الدولية كذلك هو نوع من قرصنة لتسريب القطع الأثرية والاستهتار في تجاهل القوانين والأعراف الدولية التي تدعو إلى المحافظة على الآثار وحمايتها من أيدي العابثين.. إن ما يحصل هو مناف للقوانين التي تدعو إليها الأمم المتحدة ومنظمتها المهتمة بالإرث الحضاري والثقافي والإنساني المتمثلة بـ(اليونسكو). إن هذا التصرف يعد جريمة تقع تحت طائلة القانون يستدعي من الحكومة القادمة أن تقوم بـ:

أولاً / إقامة الدعاوى القضائية الأصولية لإدانة أعمال نهب الآثار، والعمل على استعادتها.

ثانياً / تنظيم الندوات والمؤتمرات ودعوة المختصين لفضح تلك الممارسات والدعوة إلى إعادة المسروقات من الآثار إلى أماكنها الأصلية.

اثاريون وادباء ومثقفون في الناصرية :

ماذا لو سقطت القذائف على زقورة اور؟

لقد اخطأ النظام السابق كثيراً حين امر بإنشاء قاعدة جوية في المنطقة الاثرية في اور، واخطأ الامريكان ايضاً بإقامتهم في تلك القاعدة والقواعد الاخرى القريبة، اذ باتت حركة قطعاتهم تؤثر بشكل سلبي على المواقع، وتحرم الناس من مشاهدة الآثار والاطلاع على التراث العريق لبلادهم، هذا ما قاله الاديب احمد الباقري في استطلاع اجرته (المدى) بين النخب المثقفة في مدينة الناصرية بشأن وجود قوات التحالف في المواقع الاثرية العراقية، وما نجم عن هذا من اضرار كان بالامكان تجنبها.

الناصرية/ حسين كريم العامل

ثكنة

يقول احمد السومري - مثلما اهان صدام مدينة بابل بترميمها بطابوق يحمل اسمه. اهان الامريكان المواقع الاثرية بجعلها ثكنات لجنودهم. وعليه يجب ان تستعيد وزارة الثقافة المواقع الاثرية وتعمل على تهيأتها لإستقبال السياح. في حين قال الناقد السينمائي احمد ثامر:

- لقد قضى النظام البائد على كل ثروات العراق واساء اليها اساءة بالغة ولم تكن الآثار بمنأى عن هذا الخراب الشامل الذي خلفته الدكتاتورية. وكان لوقوع الحرب الاخيرة اثر بالغ في تهيئة ظروف سيئة وفوضى خطيرة تسببت في ازدياد معدلات جرائم سرقة الآثار وتهريبها الى خارج العراق.

ولا اتصور ان التحالف بذل جهوداً كبيرة للحفاظ على ثروات العراق الآثارية لكننا كعراقيين نوجه اللوم واصابع الادانة بشكل اساسي الى بعض ضعاف النفوس من العراقيين انفسهم الذين باعوا ضمائرهم ليعيثو فساداً في تراثنا وحضارتنا وتهشيم رموزها وشواخصها. ان وجود قطعات عسكرية قرب مناطق الآثار امر غير مرغوب فيه خاصة اذا فكرنا ان هذه الاماكن يمكن ان تتحول الى مرافق سياحية مهمة، ويجب ان ينظر اليها على هذا الاساس. كما انه من غير المستبعد ان يقوم جنود التحالف بتسريب بعض القطع الاثرية بشكل شخصي. لذلك من المهم جداً ان يتولى العراقيون شؤون الآثار وباقي المهام الثقافية للبلد.

ويعود الاديب الباقري ليقول: كما اني لا استبعد بل اتوقع سرقة الآثار من قبل الجنود. فقد سمعت حين كنت اعمل مترجماً للاسرى العراقيين في معسكر اور، ان جندياً امريكياً سرق طابوقة من بيت النبي ابراهيم (ع) الكائن في اور.

في الاردن وزارة للآثار وهو لا يضم سوى ٤٠٠ موقع وفي ذي قار وحدها ٨٠٠ موقع!؟

متاجرون بالآثار يمارسون عملهم تحت غطاء منظمات انسانية وهمية

وقد ضبطت الطابوقة مع حاجياته الشخصية. واصدر القائد الامريكي بعد ذلك امراً بمنع العسكريين الامريكيين من دخول بيت النبي ابراهيم (ع). فليس من المستبعد ان يسرق الجنود قطع الآثار. وذلك ليأخذوها الى بلادهم كذكرى من البلد الذي كانوا فيه او للمتاجرة بها.

نهب

بينما قال الكاتب كاظم الحصيني - ان مسألة اختيار المواقع الاثرية كمقرات ومعسكرات لجنود الاحتلال قد ينظر اليها كنتيجة لإقامة المعسكرات قربها من قبل النظام السابق. وهذا ينطبق على قاعدة الامام علي بن ابي طالب (ع) الجوية. واذا اردنا ان نكون طيبين جداً فسنقول ان ذلك التواجد قد ادى الى المحافظة عليها نوعاً ما. من النهب العشوائي الذي حدث في مرافق البلاد الاخرى. ولكن كلنا يعلم ان حركة نقل آثار العراق الى المتاحف الغربية بدأت قبل الحرب العالمية الاولى ومن يقرأ كتاب (حضارة سومر) يصاب بالذهول من تفريغ المواقع الاثرية من الآثار بحملة بدأت سنة ١٩٣٥ ومن هذا المنطلق فمن السذاجة الاعتقاد بأن الآثار كانت مصانة سواء من عبث جنود الاحتلال الذين لا تهمهم ذاكرة البلد او من الايدي المتمرسة بالنهب. عليه يجب وضع حراسة عراقية مسؤولة، بل وتشكيل ادارات مسؤولة داخل تلك المواقع لحماية آثارنا.

اما الاستاذ محمد باجي فقد قال بألم:

- ان زيارة الآثار غدت حسرة كبيرة في قلوبنا بسبب تواجد القاعدة الجوية فيها في زمن النظام السابق واقامة الامريكان في تلك القاعدة فيما بعد. في حين قال الاستاذ امير دوشي:

ان خوفنا يتعاظم من تعرض زقورة اور وبيت النبي ابراهيم (ع) للاضرار نتيجة مهاجمة المواقع الامريكية وسقوط القذائف على تلك المواقع الاثرية المهمة. بينما قال الشاعر عدنان الفضلي: لقد فكر الامريكان بحاجة جنودهم للثكنات على حساب المواقع الاثرية. فما ان وجدوا عشرات المباني الجاهزة في قاعدة الامام علي (ع) البعيدة نوعاً ما عن مركز المدينة والتي توفر لهم الامان نسبياً بسبب ذلك حتى اتخذوها موقعاً عسكرياً محصناً. ومنعوا المواطنين من زيارة الآثار. ولم يفكروا في معالجة ما اقترفه النظام السابق الذي شيد تلك القاعدة والقواعد الاخرى قرب المواقع الآثارية.

اما الشاعر حيدر عبد الخضر فقد قال:

- ان الامريكان ارادوا ان يضفوا نوعاً من الشرعية على وجودهم وذلك من خلال الادعاء بحماية تلك المواقع من سارقي الآثار. غافلين عما تسببه حركة القطعات العسكرية من تداخل في الطبقات الآثارية وتهشيم للتماثيل والفخار.

في المفتشية

وبعد ان استمعنا لآراء واحاديث عدد من المثقفين والادباء في محافظة ذي قار انتقلنا الى مفتشية الآثار في المحافظة لسمع رأي اصحاب الاختصاص والشان بتواجد قوات التحالف في المواقع الاثرية.

فقال منقب الآثار ابو ذر راهي سالم ان وجود معسكرات الجنود اثر ويؤثر بشكل سلبي على المواقع الاثارية وقد لاحظت ذلك من خلال مشاهداتي للجنود اثناء زيارتهم لمقبرة اور والملكية وعبثهم بالآثار وعدم اكتراثهم بقدسية تلك المواقع، كما تعرضت بعض المواقع للنبش من قبل الجنود، وهؤلاء الجنود يقومون بإجتياح المواقع بدون أي ترخيص في حين يمنع منتسبو مفتشيه الآثار من اداء عملهم في حال عدم حصولهم على الموافقة المسبقة من قوات التحالف.

وعن السرقات قال:

- في البداية كانت هناك محاولات للسرقة وقد اشتكى حراس المواقع الى الضباط الامريكان من تصرفات الجنود الذين كانوا يرومون السرقة.

وقد اصدر الضباط اوامرهم بمنع الجنود من دخول المواقع. وفي الوقت نفسه توجد حالات نقيضة لتلك التصرفات بين الجنود انفسهم فقد قام احد الجنود في احدى المرات بتسليم احدى القطع الاثرية الى الحراس، فيما استأذن جندي آخر مكلف بحماية الآثار من المنتسبين لإلتقاط صورة امام احد التماثيل، وواصل السيد اباذر حديثه قائلاً:

- الحدود مفتوحة الآن والتجار من جميع الجنسيات يقومون بتهريب الآثار وقد دخل بعضهم الى العراق تحت غطاء المنظمات الانسانية الوهمية. فقد سمعنا عن احدى المنظمات التي قامت بتوزيع المواد الغذائية في منطقة آثارية حدودية واشترت من السكان فيما بعد قطع آثارية مهمة بإثمان بخسة.

وصال نعيم

اباذر راهي سالم

عامر عبد الزاق

عمل مقصود

فيما قالت المنقبة الآثارية وصال نعيم - ان تواجد القطعات العسكرية يؤثر على الطبقات الاثارية ويؤدي الى تحطيم عدد من القطع الآثارية والتماثيل والجرار وان هذه الحركة تؤدي الى تشابك وتداخل الطبقات الاثارية مع بعضها مما يعقد مهمة المنقب في معرفة الحقب التأريخية التي مرت على هذا الاثر. وانا اعتقد ان تواجد القوات الامريكية قرب اور ومواقع اثرية اخرى عمل مقصود لعزل الآثار وعلى المخلصين من ابناء البلد التدخل والمطالبة برحيل قوات الاحتلال من تلك المواقع. اما المنقب عامر عبد الرزاق فقد خالف زميلته الرأي وطالب بضرورة تواجد قوات التحالف لحماية الآثار من السراق وتجار الآثار مستشهداً بما جرى للمواقع الاثرية البعيدة عن قوات التحالف وما حصل لها من نهب وتدمير وقال:

- انا لا اعتقد ان اختيار المواقع الاثارية مقصود ولو كان مقصوداً لإختاروا مواقع اثرية اكثر غنى باللقى الاثرية وعلل اختيار المواقع الاثرية الى وجود القاعدة الجوية التي اقامها النظام السابق في هذا المكان.

- ان احتمال تساقط قذائف عن طريق الخطأ وارد جداً وقد يسبب اضراراً لا تقدر بثمن.

واخيراً طالب السيد عامر بإستحداث وزارة خاصة بالآثار مستشهداً بالاردن الذي لا يملك سوى ٤٠٠ موقع اثري وشكلت فيه وزارة لهذا الغرض في حين ان الناصرية وحدها تضم اكثر من ٨٠٠ موقع اثري. وقد وصفها احد الآثاريين بأنها مدينة عائمة على المواقع الاثرية.